الأبعاد الهامة لمعركة القلمون

■ حميدي العبدالله

قلّل الإعلام المرتبط بالحرب على سورية والمعادي لحزب الله من أهمية الانتصارات والمكاسب التي حققها الجيش السوري ومجاهدو حزب الله في منطقة القلمون. علماً أنّ تحرير التلال والجبال التي كانت خاضعة لسيطرة «جبهة النصرة» والتنظيمات الأخرى، كشفت عن حقيقة أنّ الجماعات المصنّفة إرهابية من قبل الحكومات الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة، ومن حكومات المنطقة، وتحديداً حكومة المملكة العربية السعودية، كانت تسيطر على مناطق واسعة من الأراضي اللبنانية، ليس في جرود عرسال وحدها التي لا تزال خاضعة لسيطرة «داعش» و«النصرة» والتنظيمات الأخرى، بل أيضاً في مناطق أخرى لبنانية تمتدّ على مساحة واسعة جداً. لكن على الرغم من التقليل من أهمية ما حققه الجيش السوري ومجاهدو المقاومة، إلا أنّ ذلك يعني أنّ ما تحقق له أبعاد وتداعيات على جانب كبير من الأهمية، ومن أبرز هذه الأبعاد والتداعيات:

أولاً، انعدام القدرة على القيام بأعمال تسلل عبر الأراضي السورية إلى داخل لبنان لشنّ عمليات إرهابية، على غرار العمليات التي تعرّض لها لبنان، ولا سيما الضاحية الجنوبية لبيروت عندما كانت الجماعات الإرهابية تسيطر بشكل كامل على منطقة القلمون، حيث شكلت هذه المنطقة قاعدة لتفخيخ السيارات وشنّ الهجمات، بل قضت على أيّ أمل بالانطلاق من هذه القاعدة لتوسيع نطاق سيطرة الجماعات الإرهابية على جزء من الأراضي اللبنانية ليكون ذلك بمثابة شريط لملاذ آمن وقاعدة عمل استراتيجية لاستمرار حرب الاستنزاف داخل سورية. وقوّضت أيّ احتمال أن تقدّم الجماعات الإرهابية أيّ دعم لمثيلاتها داخل لبنان، وبات حديث الشيخ سالم الرافعي الذي هدّد الجيش ولبنان بالمسلحين السوريين مجرّد لغو لا طائل منه، وتهديد لا يأخذه أحد على محمل الجدّ، ولو لم يتحقق في القلمون في المعركة الأخيرة ما تحقق لما كان ذلك.

ثانياً، سقط رهان الكيان الصهيوني ومن خلفه رهانات أطراف أخرى على تحوّل هذه المنطقة إلى قاعدة راسخة لاستنزاف حزب الله، من خلال القصف على البلدات التي تشكل معاقل له، ومن خلال الهجمات على مواقعه المنتشرة على طول الحدود لحماية هذه البلدات، الأمر الذي من شأنه أن يصرف جهده عن الاستعداد في مواجهة الكيان الصهيوني على الحدود الجنوبية، أو الإسهام في معارك الجيش السوري على امتداد الأراضي السورية في مواجهة الإرهابيين.

ثالثاً، من شأن هذه المكاسب والانتصارات أن تعجّل في تطهير كامل مناطق الحدود السورية – اللبنانية من وجود الجماعات المسلحة، ولا سيما في الشريط الذي يضمّ مدينة الزبداني وبلدات سرغايا ومضايا، إضافة إلى حصر المسلحين في مدينة عرسال وجرودها، ومن شأن ذلك أن يقلّص الأعباء الملقاة على عاتق الجيش السوري من أجل حماية مدن القلمون التي تمّ تحريرها في ربيع عام 2014، وبعد إنجاز معركة القلمون يستطيع الجيش السوري توجيه القوات التي كانت مولجة بحماية القرى والبلدات والطرق والحدود مع لبنان وفي منطقة القلمون التي يقدّر بأن تكون هذه القوات بالآلاف وليس بالمئات، لتعزيز جبهات أخرى، وتوفير شروط الانتصار على الجماعات المسلحة في تلك الجبهات.

لكل هذه الأسباب، فإنّ نتائج معركة القلمون الثانية، نتائج لا تقلّ أهمية عن نتائج معركة القلمون الأولى.

بعد استهلاكه في الشام... إعادة تدوير الفكر السعودي في اليمن

■ سعد الله الخليل

حين وصفت دمشق الحرب على سورية بالمؤامرة الأميركية السعودية سخر دعاة تحرّر الشعوب وأنصار الحريات الممجوجة من نظرية المؤامرة التي تتمسك بها دمشق ومحور المقاومة، وأوعز أصحاب مشروع الثورات الملوّنة ممّن صنعتهم تلك المشاريع كقيادات للرأي العام للاستنفار على قنواتهم المأجورة للنقد والنيل من تلك الرؤية، معتبرين أنّ ما يحمله محور المقاومة من قضايا يدافع عنها بحدّ ذاتها مؤامرة كبرى على الشعوب العربية، وكرّست جهدها طوال سنوات على شيطنة رموزه من قادة وجيوش وعلماء ومؤسسات.

في الحرب على سورية لبس أبناء آل سعودية ثوباً فضفاضاً على مقاسهم، واعتقدت «مملكة الرمال» أنّ رفع شعارات الحرية والديمقراطية ومناصرة الشعوب يمكّنها من مسح سجلها الحافل بانتهاكات ما تدّعيه من حرص على الشعوب السورية واليمنية والبحرينية، فعجزت عواصف حزمها عن فرض رؤيتها ومشاريعها ومسح تاريخها الأسود من ذاكرة الشعوب، كما سيعجز أتباعها حاملي الرايات السود من النيل من العمق الإنساني والتاريخي لأبناء سورية واليمن القادرين على تحويل الصحارى إلى منارات إنسانية ضاربة في التاريخ والحاضر والمستقبل، ولعل مملكتي سبأ وتدمر تشهدان على المخزون الإنساني لبلاد الشام واليمن فيما دمّر أبناء آل سعود كل ما يدلّ على الإنسانية في صحارى الحجاز.

من سورية إلى اليمن تسعى مملكة آل سعود لنقل تجربتها في بناء الإنسان وفق المنهج الوهابي وتدمير الأوطان، فبعد سنوات من تغذية الحرب وقيادتها على سورية وفشلها في تصنيع منظومات وجماعات تقف في وجه الدولة السورية عبر جماعات مسلحة ومجالس قيادة محلية أثبتت فشلها، تستكمل ما دمّرته طائراتها في الأرض اليمنية من حجر بالسعي إلى تصنيع كيانات جديدة تسعى عبرها لعودة اليمن إلى بيت الطاعة السعودي كما كان منذ عقود من بوابة التمسك بشرعية رئيس فاقد للشرعية تبني حوله كيانات عسكرية مشابهة لكيانات ما كان يسمّى يوماً ما «الجيش الحر» والذي تاه في الأرض السورية وجماعة حزم التي أنفقت عليها الملايين قبل أن تأكلها «جبهة النصرة»، والقائمة تطول من «جيش الإسلام» إلى «جيش الفتح»، والتي تآكلت وذابت في جسدي «النصرة» و«داعش».

كما تنقل السعودية تجاربها الفاشلة على الأرض السورية تنقل خيباتها في السياسة أيضاً فتدفع بزبائنيتها لرفض أيّ جهد سياسي لحلّ الأزمة اليمنية وتعرقل مؤتمر جنيف من بوابة التمسك بشرعية هادي كما منعت صدى أصواتها في المعارضة السورية من الذهاب إلى جنيف، وأصرّت على السير في الحرب حتى النهاية.

في الدراما والسينما عادة ما تكون الأجزاء اللاحقة أقلّ جاذب وتشويق من النسخة الأولى مهما برع الممثلون في أداء الأدوار واستمات المخرج في إظهار قدراته الفنية وسخر المنتجون الملايين في ميزانياتها فكيف إذا كانت النسخة الأولى هزيلة البنية مهترئة المظهر وهابية الشكل والمضمون.

على الأراضي اليمنية تسعى السعودية لإعادة تدوير تجربتها السورية، بانتظار الإعلان عن فصائل وقوى تصنعها قناة «العربية»، وتجعلها آلهة من تمر بانتظار أن يأكلها تنظيم «القاعدة» في اليمن السعيد.

«توب نيوز»

جيش تركي سعودي

لا تتحمّل السعودية وتركيا تبعات خوض حرب برية عسكرية نظامية علنية ضدّ سورية أو ضدّ اليمن أو في العراق لأنّ هذا يعني إعلان حرب ويتحمّل تداعيات حرب يترتب عليها تعرّض العواصم والمنشآت الاستراتيجية لقصف الصواريخ التي تمتلكها قوى وشعوب وجيوش هذه البلدان.

الكثافة النارية ونوعية الأسلحة التي تظهرها هجمات «داعش» و«النصرة» تؤكد استحالة أن يكون ما لديها موجوداً لدى غير جيش محترف وراءه دولة مقتدرة ومال وفير.

أعداد المقاتلين المتدفقين على سورية تقول إنّ الأمر أكبر من تنظيم «القاعدة».

لماذا كانت «النصرة» و«داعش» تهزمان قبل سنة؟ ومن أين جاء هذا المدد؟

حرب سورية هي أم الحروب، وبها يتعلق مستقبل الحكم في السعودية وتركيا، فوضعت الحكومتان ثقلهما لعدم خسارة هذه الحرب.

الجيش التركي والجيش السعودي فتحا باب التطوّع للقتال في سورية لمن يرغب ببدلات مغرية وإجازات رسمية فتجمّع الآلاف وزوّدوا بأحسن العتاد والسلاح وجرى ضمّهم إلى «النصرة» و«داعش».

لا يواجه هذا التحوّل بأقلّ من تهديد حلف المقاومة وليس سورية وحدها بإشعال حرب إقليمية ما لم يقف هذا التدخل.

التعليق السياسي

المشروع العربي... وفلسطين*

■ معن بشور**

أذكر حادثة بقيت ترافقني طوال العمر، وقد حدثت في طرابلس حين كنت طفلاً، وذلك إبّان استقبال حاشد في هذه المدينة لقائد جيش الإنقاذ المناضل فوزي القاوقجي. فقد كنا نقيم في محلة الزاهرية التي اصطحبني فيها أخي الاكبر إلى المنشية في التلّ، وإذ بي أسمع رصاصاً وصراخاً. عدنا مسرعين إلى البيت، لم أفهم ما حصل يومذاك، إلى أن أتت السنون وأوضحت لي كيف تحوّل استقبال بطل من أبطال النضال من أجل فلسطين، إلى مسرح دام بين أبناء مدينة مجاهدة عريقة كطرابلس بسبب منافسات محلية.

هذان المشهدان ما زالا يسكنان وجداني وأنا انظر اليوم إلى واقعنا العربي، مقاومة بطولية، حيثما احتاج الامر، في فلسطين في لبنان في العراق وفي كل ارض عربية، واحتراب أهليّ يمزّق دولنا وأقطارنا وجيوشنا في الوقت نفسه، فتساءلت إلى متى نبقى محكومين بهذين المشهدين، كيف لا نغلّب مشهد نضالنا من أجل أرضنا المغتصبة في فلسطين أو في الاماكن المتعددة التي أشار إليها الدكتور محمد المجذوب في فلسطين أو في الأهواز أو اسكندرون أو في سبتة ومليلة أو في الجزر الثلاث، بالفعل هذا هو السؤال الذي نعتقد ان الاجابة عليه لا تكون الا بالتوجه مجدداً وجميعاً نحو فلسطين.

ولعلها من محاسن الصدف أن تتزامن في هذا اليوم، مناسبات عدّة كلها مرتبطة ببعضها، وإنْ بدا بعضها ذا طابع دينيّ، وبعضها الآخر ذا طابع وطنيّ، وبعضها أيضاً ذا طابع محلي. من هذه المناسبات تأتي ليلة الاسراء والمعراج، ومن يستطيع أن يذكر الاسراء والمعراج من دون أن يذكر المسجد الاقصى ويذكر معه القدس وفلسطين. «فالتوجه إلى فلسطين واجب شرعي، لقد أسرى الله برسوله إلى القدس ليقول إن هذا هو طريقنا جميعاً». أما المناسبة الاخرى فهي ذكرى استشهاد المفتي الشيخ حسن خالد الذي مهما قلنا في استشهاده علينا ان نتذكر ان هذا الرجل، كان رجل التواصل الحقيقي بين لبنان وفلسطين، وكان تجسيداً لهذه العلاقة التي قدّم فيها اللبنانيون آلاف الشهداء، خصوصاً في طرابلس على طريق فلسطين.

والمناسبة الثالثة، وهي عزيزة على قلبي وأعتقد على قلب الدكتور عبد المجيد الرافعي، ورئيس المنتدى في الشمال الاخ فيصل درنيقة وآخرين بينكم، وهي 12 أيار 1970، في ذلك اليوم المشهود وخلال غزوة صهيونية لجنوب لبنان، قام مقاتلون في الدفاع عن ارضنا في الجنوب واستشهد ثلاثة من أبناء حي الرمل في طرابلس: أحمد هوشر ومحمد ديب الترك وسمير حمود، ومعهم رفيقهم من العراق من الموصل صقر البعث.

فلنقرأ ماذا تعني هذه الذكرى، ماذا يعني استشهاد هؤلاء من أبناء الشمال على أرض الجنوب، يجب ان نتذكرهم ونتذكر كل شهداء طرابلس الذين استشهدوا في فلسطين وفي رحاب العالم العربي. ولا ننسى هنا شهداء طرابلس ضد الاستعمار الفرنسي الذين نلاحظ اغفالاً مستمراً لهم. فيما يجب أن تتحول ذكرى الاستقلال أيضاً إلى ذكرى تحية لهؤلاء الشهداء الذين واجهوا بأجسادهم العارية دبابات الاحتلال الفرنسي.

أقول هذا الكلام، لأقول إن الترابط بين ما هو وطني وقومي، وديني وإنساني، في قضية فلسطين، هو أحد عناصر القوة الاساسية، وكل من يريد ان يضع رابطة من هذه الروابط في وجه الاخرى إنما يسيء لفلسطين كما يسيء للقضية التي يعتقد أنه يقاتل من أجلها. فمن يضع العروبة في وجه الاسلام، فإنما يسيء للعروبة أكثر مما يسيء للاسلام، ومن يضع الاسلام في وجه العروبة فإنما يسيء للاسلام اكثر مما يسيء للعروبة. ومن يضع الاثنين في وجه التقدم والديمقراطية والتحرر فإنما يسيء لهما أكثر مما يسيء لهذه الاهداف. إذن، فلسطين تعني هذه القضايا مجتمعة، فلسطين يجب أن ندرك انها ليست المآسي التي نراها، فلسطين - أو خارج فلسطين - ليست تلك المؤامرة المستمرة لتدمير كياناتنا الوطنية، لتدمير جيوشنا الوطنية، لتدمير نسيجنا الوطني الاجتماعي، إنما أيضاً لفلسطين وجه آخر يجب أن نتمسك به، لأن أكبر ما يخدم عدونا، اليأس الاحباط. فاليأس والاحباط يمثلان الاحتياط الاستراتيجي لدى أعدائنا. فهم حين يقودوننا إلى اليأس والاحباط، إنما يقودوننا إلى الاستسلام... غاية مناهم. لا تهمهم الجيوش التي يحطمون، ولا الاقتصادات التي يدمرون، يهمهم أن يهزموا النفس العربية، أن يهزموا العقل العربي، أن يهزموا الارادة العربية، حينها، وحينها فقط، يكتّب لهم الانتصار، لذلك يجب دائماً أن نقرأ ما حولنا، أن نقرأ الايجابيات.

هذا الكيان الصهيوني اليوم الفرح وهو يرى الدماء العربية تسفك بأيد عربية وغير عربية. يجب أن ندرك انه يعيش قلقاً مصيرياً، هذا الكيان قام على ركائز، قام على فكرة الدعم الدولي غير المحدود، وأنتم ترون الان كل يوم يمر علينا كيف تتكفئ شرائح جديدة من الرأي العام العالمي وحتى من الدول عن دعم هذا الكيان. وآخرها من دون شك اعتراف الفاتيكان بدولة فلسطين، وهو اعتراف لا بدّ أن نتذكر معه المطران هيلاريون كبوجي - مطران القدس في المنفى - الذي بقي في الفاتيكان بانتظار العودة إلى القدس، فإذ به يصطحب الفاتيكان كله ليكون معه في القدس.

كذلك، من ركائز هذا الكيان العنصري الصهيوني فكرة الامن. كانوا يقدمون هذا الكيان، خصوصاً بعد حرب 1967، بأنه الكيان الآمن المحصن الذي لا يخشى شيئاً، وإذ بهذا الامن يتصدع، يتصدع من الداخل بفضل نضالات الشعب الفلسطيني ومقاومته، ويتصدع أيضاً على الحدود من خلال المقاومة على الجبتهين الشمالية والجنوبية.

وهناك ركيزة ثالثة لهذا الكيان، وهي الهجرة، وكل المعلومات تشير إلى ان عدد الراغبين في الهجرة من هذا الكيان يفوق عدد الراغبين في الهجرة إليه، وكذلك تلاحظون أيضاً ان اشتباكات وصدامات بدأت تحصل ضد الذين أنفقوا المليارات من اجل دفعهم للهجرة إلى فلسطين كالفلاشا، اليهود الاثيوبيين، فهذا الكيان العنصري لا يرفض السكان الاصليين من أهل فلسطين فحسب، بل صار يرفض المهاجرين أنفسهم كيهود اثيوبيا وغيرها.

وهناك أيضاً فكرة تتصل بالعقيدة الصهيونية، هذه العقيدة تتحدث عن «حدودك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل»، بدأت تضطر إلى الانسحاب من أراض احتلتها، بدأت تنسحب من سيناء وانسحبت من غزة، وانسحبت من جنوب لبنان وهذا أمر من الناحية العقائدية تراجع كبير في عقيدة هذا الكيان وفي التزامه العقائدي. لكن علينا أن نعترف ان هذه التراجعات داخل هذا الكيان تتلازم مع هذه الانتصارات التي تحققها فلسطين على المستوى الدولي، ومع الانتصارات التي حققتها المقاومة في العراق ولبنان وفلسطين، وعلينا أن نعترف أن نقطة القوة الرئيسة التي ما زالت لهذا الكيان الصهيوني، تتمثل في الواقع العربي، خصوصاً الواقع الرسمي العربي.

كتبت مرة: «إن القبة الحديدية التي يحتمي بها هذا الكيان ليست التي اشتراها من الولايات المتحدة الأميركية والتي أثبتت فشلها مقابل صواريخ المقاومة»، القبة الحديدية الحقيقية هي هذا النظام الرسمي العربي الذي يتوجه بكل اتجاه إلا باتجاه فلسطين، إذا كان هناك من مشاريع اقليمية تتسلل إلى المنطقة من إيران أو من تركيا أو من غيرها، فما كان ممكنا لها ان تتسلل لو كان هناك مشروع عربي، ونحن ندرك تماماً أن ما تعرّض له العراق، وما تعرّضت له مصر بعد «كامب ديفيد»، وما تتعرض له سورية، وقبلها الجزائر، ما كان ليكون إلا من أجل ضرب ركائز هذا المشروع العربي، وهو مشروع لا يحرّر فلسطين وحدها فقط، إنما يشكل رافعة على مستوى الأمة وعلى مستوى العالم كله، وكلنا يذكر ان جمال عبد الناصر لم يكن قائداً مصرياً، ولم يكن قائداً عربياً فقط، إنما استطاع من خلال مشروع قاد من خلاله عالماً ثالثاً بكامله، وبقي رقماً صعباً على المستوى الدولي.

إذن، من اجل هذا الامر، لا بد من فلسطين لكي نتّحد حولها. أنا أدرك تماماً، أن بيننا خلافات كثيرة، وأنا سعيد ان الندوة اليوم تضمّ ممثلين عن تيارات وآراء مختلفة في هذه المدينة، وهذه أهمية فلسطين، وهذه قوة فلسطين. ولكننا لا نعتقد أنه يمكن إزالة هذه الخلافات بين يوم وآخر، ولكننا نستطيع أن نوجد آلية من أجل تنظيم هذه الخلافات، من أجل عقلنة هذه الخلافات، من أجل وضعها تحت سقف معين، وهي آلية الحوار، إذ يجب ان نعمل جميعاً من أجل تعميم ثقافة الحوار في مجتمعاتنا، ثقافة قبول الاخر، ثقافة ترفض الاقصاء والابعاد، ترفض الاجتثاث الذي رأيناه في العراق حيث أراد الاحتلال وأدواته أن يجتثوا حزباً، فإذ بهم يجتثون وطناً وكياناً عربياً عزيزاً كالعراق.

أقول هذا الكلام لأؤكد أننا أمام هذه الفكرة الاساسية المركزية. فكرة الدعوة إلى الحوار، وفكرة المشروع العربي. أما في لبنان، فقد قلت مرة في مهرجان أقامته الثورة الفلسطينية في ذكرى تأسيسها وتحدث فيه ممثلون عن تيار المستقبل وحزب الله وحركة أمل والحزب التقدمي الاشتراكي. قلت لهم: تتحدثون هنا عن حقوق الشعب الفلسطيني، وأنتم تشكلون غالبية أعضاء المجلس النيابي، نريد منكم أن تنطقوا هذا الكلام في البرلمان اللبناني، وتحولوه إلى مشاريع قوانين ترفع الغبن عن أخوتنا الفلسطينيين، إذ لا يجوز ان تبقى قضية حقوق الشعب الفلسطيني متروكة بهذا الشكل. وبالمناسبة نحن أيضاً في ذكرى الاعتداء على جيشنا اللبناني وسقوط شهداء له على يد المجموعات التي وضعت يدها على نهر البارد.

في هذه الايام أيضاً، يجب أن نتذكر ما قاله لنا هذا الصباح الشيخ عبد اللطيف دريان أمام ضريح المفتي الشهيد حسن خالد في ذكرى استشهاده: «إن الفقر رفيق التطرف. إذا أردنا أن نقضي على التطرف، يجب أن نقضي على الفقر»، ليس في المخيمات وحدها، إنما أيضاً في مدننا، خصوصاً في طرابلس التي نشعر أنها معاقبة منذ الاستقلال، معاقبة لأنها وقفت في وجه الاستعمار، معاقبة لأنها وقفت في وجه أعداء القضية العربية. فما نراه اليوم من حرمان في طرابلس وفي كل مدننا وقرانا وفي المخيمات والاحياء الفقيرة، إنما ينعكس أيضاً عدم استقرار وفلتاناً أمنياً وتطرّفاً مدمراً.

لذلك، البوصلة إلى فلسطين، هي بوصلة التلاقي في ما بيننا على رغم خلافاتنا، بوصلة البناء العربي، بوصلة احترام حقوق شعبنا الفلسطيني والدفاع عنها، بوصلة احترام الحقوق الاجتماعية والاقتصادية لفقرائنا وتلبيتها أينما كانوا.

*كلمة ألقيت في ندوة «كيف تكون فلسطين بوصلة» ذكرى النكبة في 2015/5/15 التي نظمتها الرابطة الثقافية والمنتدى القومي العربي في طرابلس - الشمال، وتحدّث فيها كل من د. عبد المجيد الرافعي، ود. محمد المجذوب، وأبو خالد غنيم بسام فلسطين.

**الرئيس المؤسّس للمنتدى القومي العربي، منسق الحملة الأهلية لنصرة فلسطين وقضايا الأمة.

«النووي السعودي»... ورسائل الوهم الخائبة

■ حسن شقير*

كثُر الحديث مؤخراً - بحسب ما تناقلت وكالات الأنباء - عن توجّه المملكة العربية السعودية إلى باكستان، للتقدم منها بطلب شراء قنبلة نووية جاهزة، وذلك في حال سُمح لإيران بالاحتفاظ بالبرنامج النووي الإيراني السلمي، واحتفاظها بالأبحاث المتعلقة به. علماً أن نشر هذه المعلومات، ليس وليد الساعة، لا بل جاء في أعقاب احتدام الخصومة الإيرانية - السعودية في المنطقة. أو أنّ هذه المعلومات كانت، في سياق نتيجة طبيعية لاقتراب موعد التوقيع المزمع ما بين إيران والدول الستّ، وذلك قبيل نهاية حزيران المقبل. إنما كانت هذه التسريبات في أوقات سابقة لهذا وذاك.

إذا تخطينا موضوع التوقيت، إلى الخوض في الهدف الأساس من هذه التسريبات الحديثة، فإننا نعتقد أن توقيت نشرها اليوم، ينطوي على مجموعة من الدلالات والرسائل السعودية. وفي غير اتجاه في آن واحد، بحيث نستطيع إدراجها، وإلى من يعنيهم الأمر، ضمن ثلاثة بنود:

- رسالة معنوية: تتوجه السعودية بهذه الرسالة، إلى الداخل السعودي ومعه الخليجي، والعربي بشكل عام، إلى أنه ما أرادت المملكة أن تُوصف به بعد عدوانها المستمر على اليمن، بأنها «مملكة الحزم»، فإنها بالفعل أضحت كذلك. لا بل أن المملكة قد قطعت فعلاً، لا قولاً المرحلة السابقة في زمن الملك عبد الله، بحيث أن زمن الأفعال قد حلّ وزمن الأقوال قد ولّى!

ربما يعتقد الحكم الجديد في السعودية، أن هذا قد يُدغدغ آمال بعض من الشعوب العربية والإسلامية، وأنها والحال كذلك، فإن «مملكة الحزم» قد أصبحت اليوم، بوصلة الشعوب العربية والإسلامية في استرداد العنفوان والكرامة العربيين المفقودين منذ ما قبل أربعينات القرن الماضي على أقل تقدير.

ولكن، ربما أن الحكام الجدد في المملكة العربية السعودية قد تناسوا، أنّ من يريد أن يضطلع بدور محوري كهذا في المنطقة، فإنه عليه - وعلى أقل تقدير - أن يحمل همّ العالم العربي وقضاياه المحورية، وذلك ابتداءً من فلسطين والصراع مع الكيان الصهيوني. ولكن إن تجاوزنا ذلك أيضاً، وتماشينا مع منطق «الدواعش»، بأن الوصول إلى الكيان الصهيوني مسألة لاحقة، لا سابقة! وبالتالي فإنّ الأمة يجب أن تتخلّص من «أدرانها الداخلية» قبل الخارجية... فإنّ «المملكة الحازمة» - وبهذا المنطق الذي تسير به اليوم - لهي أضحت أكثر ضعفاً ووهناً من قبل. وخير دليل على ذلك، تخبطها الحالي في الوحول اليمنية، وإيغالها في سفك الدم اليمني، ومن دون تحقيق أيّ مكاسب وأهداف تذكر، والتي يمكن من خلالها أن تصبح معها، ذات مهابة واعتزاز عند من ترسل لهم هذه الرسالة النووية. أضف إلى ذلك أيضاً، أنّ استجداءها الجيوش من باكستان وتركيا والسنغال وماليزيا... وغيرها من باقي الدول، يُعمّق الشعور المعاكس لدى الشعوب العربية والإسلامية، بأن هذه الاستجداءات، ما هي إلّا دليل العجز والضعف والوهن وكل ما تعاني منه. لا بل أن تطور الميدان في اليمن سيُعرّي «حزمها وعزمها» أكثر فأكثر لدى الشرائح الإجتماعية الخليجية والعربية، وحتى الإسلامية على حدّ سواء.

لا بل أن انفجار فقاعة تضخيم دورها المأمول لديها، ستصيبها بندوب لا مجال للتفصيل فيها الآن.

- رسالة إغرائية - التفافية: ربما يكون هذا التسريب السعودي، عن إمكانية شراء القنبلة النووية، ومن باكستان تحديداً، يهدف في ما يهدف إليه، إلى توجيه رسالة إلى باكستان - الدولة الممتنعة عن تلبية الطلب السعودي في الاشتراك في الحرب البرية على اليمن. بأن باب الإغراء المادي الدسم قد فُتح على مصراعيه، وأن المساعدات السعودية السابقة لها، لا تساوي شيئاً أمام هذه الصفقة الكبرى. علّ ذلك يجعلها تُعيد النظر في قرارها ذاك.

السؤال المطروح: هل يمكن لباكستان أن تستجيب لذلك؟ وهل أن ذلك سيخدم المصالح الباكستانية العليا؟ وهل أن القرار الباكستاني في هذا الشأن تحديداً، لهو قرارٌ داخلي صرف؟

لا أعتقد البتة أن القيادة الباكستانية الحالية - وبغضّ النظر عن دفء العلاقة مع المملكة - هي اليوم في وارد الاستجابة لهذا العرض السعودي الدسم. والأسباب تكاد لا تُعدّ ولا تحصى في هذا المضمار. فأولى الصعوبات فنية تكنولوجية تتعلق بما لا تملكه المملكة من عقول وقدرات تستطيع التعامل مع برنامج نووي متكامل. ولكن إن تخطينا ذلك، فإن هذه ستعدّ سابقة خطيرة في تجارة الأسلحة فوق التقليدية، والتي تفتح على محاذير، ذات نتائج وتداعيات خطرة جداً في العلاقات الدولية. هذا فضلاً عن أن ذلك، سيُعد خرقاً للأعراف والقوانين الدولية في تسهيل التعاون بين الدول في التكنولوجيا النووية السلمية فقط، وذلك من خلال المنظمات النووية ذات الصلة، والتي لا تسمح بذلك، هذا فضلاً عن أن هكذا قرار استراتيجي، لن يكون بمقدور باكستان أن تتخذه بعيداً عن معادلات الصراع القائمة اليوم في المنطقة والعالم برمّته على حدّ سواء. لأن ذلك سيجعل من سوق السلاح النووي - ليس مطروحاً أمام دول، تكاد تفقد صفتها كدولة - إنما قد يتعدّاها إلى منظمات عالمية قد تملك صفات دولية أكثر من بعض الدول بحدّ ذاتها. والتي تتربع السعودية على عرشها جميعاً في هذا المجال!

ماذا يعني ذلك؟ إنها الرسالة الثانية، ذات النتائج المعكوسة أيضاً، والتي لن تجرؤ السعودية على تبنّيها - وبشكل رسميّ - نظراً إلى أنها تُدرك جيداً حدود الملعب الذي يُسمح لها أن تلعب على مساحته في المنطقة والعالم أيضاً.

- رسالة تحذيرية - تبليغية: تتوجه الرسالة النووية السعودية إلى إيران تحديداً، أن ما تدّعيه السعودية، بأن هناك انتفاضة حقيقية في السياسة الخارجية للمملكة العربية السعودية. وأن حدود هذه الانتفاضة تخطّت السياسة إلى الاستراتيجيات التي ستعتمدها المملكة من الآن فصاعداً. وعليه، فإن المحاولة الإيرانية للحصول على قنبلة نووية، أو حتى الاحتفاظ ببرنامج نووي سلميّ، قد تدفع المملكة إلى فعل نووي، يفوق نظيره الإيراني. وذلك قد يكون قد تم - على عكس ما يعتقده البعض - بشكل منسق مع أميركا في الزمن الفاصل والضيّق المتبقي منّ انتهاء مهلة التوقيع في نهاية حزيران المقبل. وربما تكون محاولة لرفع مستوى الضغوط على المفاوض الإيراني، خصوصاً أنّ الأخير يدرك تمام الإدراك، أن أميركا تريد الالتفاف على النصر الإيراني في مفاوضاتها معها، وذلك بعدما رضخت لفصل السلة النووية عن دور إيران الإقليمي في المنطقة. بحيث أنّ أميركا تسعى إلى الالتفاف على ذلك من خلال دعم الدور السعودي المواجه لإيران في المنطقة، إلى أبعد الحدود. وأن هذه الأخيرة لا قيود أميركية عليها، حتى لو كانت نووية!

لا نعتقد البتة، أنّ هذه الرسالة الاحتيالية الأميركو - سعودية، سيكون لها أي تأثير على المفاوض الإيراني في هذه المرحلة تحديداً، خصوصاً أن إيران العارفة بدهاليز السياسة الأميركية الاحتيالية والضبابية، ستنطلي عليها تهويلات كهذه. فيكفي استذكار أنّ أميركا لا تجرؤ على بيع سلاح تقليدي للسعودية، أو لأيّ دولة عربية أخرى، قد يكسر التفوق التقليدي للكيان الصهيوني على هذه الدول كافة. ومن ناحية أخرى، فإن أميركا ومن خلفها الكيان الصهيوني، يدركان الرمال المتحركة التي تقف عليها السعودية اليوم، بفعل الداخل المخيف - بحسب أوباما من جهة - وإمكانية ارتداد كرة النار اليمنية عليها من جهة ثانية.

هذا في ما خص السلاح التقليدي. فكيف بالنووي؟ هذا مجال. والتساؤل الثاني يتعلّق بأميركا والكيان الصهيوني معاً. فهل أن الأولى تُريد لإيران أن تنقلب على تعهّداتها في الاتفاق النووي العتيد؟ وذلك تحت ذريعة التكافؤ مع المملكة النووية. وهل أن القرار الأميركي من الهجوم على إيران في المرحلة السابقة، والعجز الصهيوني عن الانفراد بتوجيه ضربة استباقية للبرنامج النووي الإيراني، سيصبحان أسهل في زمن التخلّي عن التعهّدات الإيرانية، وبذريعة محقة هذه المرة، والتي ستجعل من السبحة النووية بعدها، يمكن لها أن تكرّ إلى دول أخرى؟

هذا الأمر لا تحبّذه أميركا، ولا يستسيغه الكيان الصهيوني أيضاً. وبالتالي فإن هذه الرسالة ليست ذات معنى، ولن تصل إلى من يعنيهم الأمر بكل تأكيد.

خلاصة القول، تسير السياسة السعودية اليوم - مع الأسف الشديد - خبط عشواء في زمن البحث عن الدور الإقليمي المنشود، من أميركي متخفّف ماكر، يريد لهذه المنطقة الاحتراب الطائفي والمذهبي لعشراتٍ من السنين الآتية، وذلك كله لإصابة هدفين لم يُقرءا بالتأكيد ضمن استراتيجية أوباما للأمن القومي الأميركي الأولى عام 2010، وهما: ضمان الأمن للكيان الصهيوني بأقل تكلفة على أميركا، ودمج هذا الكيان بمنظومة أمنية، صهيونية - عربية لتضييع بوصلة الأمة عن فلسطين وقضيتها المحقة وإبعادها وطمسها... فهل ستستيقظ «مملكة الحزم» من سباتها العميق؟

*باحث وكاتب سياسي

«المشروع الصهيوني» بين الأفول والتجديد...!

■ سومر صالح

بدايةً للتذكير فقط... المشروع الصهيوني منذ نشأته يقوم على فكرة وجود حاضن استعماري غربي تتقاطع معه المصالح الصهيونية والامبريالية في المنطقة بمختلف أشكالها وتسمياتها، تقاطع كتب معه 67 عاماً من تاريخ «الشرق الأوسط»، وتقاطع اختلفت معه النظريات والآراء حول الدور الصهيو - «إسرائيلي» في تقدير علاقة ودور «إسرائيل» بما يحدث في المنطقة العربية تحت يافطة «الربيع العربي»، وباعتقادي هذا الاختلاف هو نوع من الترف الفكري والتنظير عديم الجدوى، والذي يمكن تلخيصه أنه «إسرائيلي» السبب والغاية بأدوات داخلية جرت تهيئتها بمناخات فشل النظام العربي برمّته في احتواء أزماته البنيوية ومشكلاته الاجتماعية والاقتصادية والديموغرافية، والذي جرى ترسيخها برضىً أميركي على مدى عقود خلت برعاية أنظمة فاشلة بالمَعنيين السياسي والاقتصادي، جرى الانقلاب عليها تباعاً وتدريجاً حسب المقتضى والحاجة، وما دول الخليج حالياً إلّا على هذه الخطى، فإشارات اوباما إلى أنّ الخطر على دول الخليج مبعثه داخلي، لا تختلف في الجوهر عن تخلي الأميركيين عن حليفهم السابق حسني مبارك، ولو اختلفت في الشكل لاعتبارات تتعلق بالمصالح الأميركية في منطقة الخليج، حيث سادت في «إسرائيل» بداية حالة من الإرباك في تقدير مستقبل «الحراك السياسي والشعبي العربي»، لكن «إسرائيل» سرعان ما دخلت على خطوط ذلك الحراك بازدواجية واضحة بهدف احتوائه وتسخيره لمصالحها الأمنية والاستراتيجية، حيث أفضت هذه التحوّلات الإقليمية إلى تغيير في البيئة الاستراتيجية لـ«إسرائيل» بمستويين، مستوى سياسيّ بخروج نظام حسني مبارك من مصر وحدوث اضطرابات سياسية في الأردن، الأمر الذي هدّد اتفاقيات السلام الموقعة بين الكيان والدولتين العربيتين وهي ركيزة السلام مع «إسرائيل»، ومستوى استراتيجي، وهو حدوث الأزمة السورية بأبعادها الجيو استراتيجية وتعقد مسبّباتها وطرق حلها، وما تبع هذه الأزمة من تغيّر في جيوسياسية الصراع بين «إسرائيل» ومحور المقاومة بكامله.

فالمستوى الأول جرى احتواؤه أميركياً بدعم الانقلاب العسكري إنْ جازت التسمية في مصر على حكم «الإخوان المسلمين» بسبب إشارات الانفتاح في الحوار بين الإخوان وإيران، والذي أقلق «إسرائيل» رغم تقديم «الإخوان» لأوراق الاعتماد لـ«إسرائيل»، واحتواء الأزمة الأردنية بجملة من الحوافز الاقتصادية للمملكة والأدوار السياسية التي تفوق حجمها، أمّا على المستوى الاستراتيجي فحصل تبادل للأدوار «إسرائيلياً» وأميركياً لاستغلال الأحداث السورية إلى أقصى حدّ ممكن بما يخدم «إسرائيل» وفق منظورين: المنظور «الإسرائيلي» بالتعامل مع الأزمة السورية والذي يقوم على نظرية «لبننة سورية»، أي جعلها كلبنان إبان عقد الثمانينات من القرن الماضي، بمعنى دعم أطراف سورية لافتعال الحرب الأهلية وتحويل تلك الفصائل السورية إلى ميليشيات تحمي «إسرائيل» على شاكلة جيش لحد وسعد حداد في جنوب لبنان، بما يمكّنها من تحقيق جملة من